وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف وان كان نبيا يعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم لا سمعت وانظرنا يعني بدل قولهم راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل واصوب ولكن لعنهم الله يعني طردهم وابعدهم من رحمته بكفرهم يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون الا قليلا يعني فلا يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود امنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فان الله انزل هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال هو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس نجعلها كخف البعير وقيل نعميها والمراد بالوجه العين فنردها على ادبارها يعني نجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفا وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفا الى قدام واعلم ان جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيمة واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد نطمسها على الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني نغير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من حيث جاؤا وهو اجلا بني النضير **فان قلت** قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك **قلت** هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد امن منهم ناس فرفع عن الباقين وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الاية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذه الشروط لم توجد لانه امن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل المراد من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها او نلعن اصحاب الوجوه فيجعل الكناية في قوله او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وكان مامور الله مفعولا والامر هنا في موضع المامور وسمي امرا لانه عن امره كان والمعنى وكان ما امر الله مفعولا قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الاية دلالة على

ان

ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم على صنعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى اخر الايات وقد دعونا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هولا الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشية فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والاثام ففي هذه الاية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشية ان شاء عفى عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة فيما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الاية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل الصالحات لم يدع من الخير شيا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع من الشر شيا الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيا فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن ابي طالب قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن جابر قال جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار ومن يشرك بالله يعني يجعل معه شريكا غيره فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هولاء من ذنب قال لا قالوا والذي نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاة العمل او بزيادة الطاعة والتقوى بزيادة الزلفى عند الله وهذه الاشيا لا يعلمها الا الله تعالى رد عليهم بل الله يزكي من يشاء فيجعله زاكيا ولا يظلمون

Copyright © King Saud University